المجريون فلا يعرضون علينا فنهم قط ، حتى ليقال أن ليس لهم فن . ولكنهم فى الواقع ينشدون أغانيهم فيما بينهم ، ويرقصون رقصاتهم ، ويتلون أمثالهم وقصصهم . وهم يعيشون فى عزلة مطبقة حتى أن البحث عن خواصهم الجنسية والفنية ليصطدم بأكبر الصعاب . ولديهم وسيلة أخرى للدفاع هى لغتهم التى هى مزيج من العناصر السلافية والرومانية وغيرها . وهم يضمرون البغض والريبة للأجانب لما فرض عليهم من الحياة الوضيعة التى تكاد تنحط الى المستوى الحيوانى ، وشأنهم فى ذلك شأن القبائل الهندية التى غزاها الأوربيون . والنورى يقدر ما بينه وبين الغير من الفروق ، ويعرف أن الغير لا يعتبره انساناً بالمعنى الصحيح ؛ ولا يجد سوى الموسيقى للتعبير عن نفسه ومقدرته ؛ فاذا سنحت له فرصة العزف ، فانه يملأ موسيقاه وألحانه بكل ما يشعر به من الشهوات وألوان البغض والغضب ، والحنان ، والثورات ، والاحتقار ، والفرح ، واليأس ؛ ويبقى النورى فى ذلك المجتمع المتمدن الرأسمالى ، النصرانى ، الذى يرغمه على الاستقرار والاعتراف بالملكية ، والتنصير ، والخضوع للقوانين بين الغابات والسهول الموحشة — يبقى دائماً وثنياً ، جامح العاطفة ، مخلوق الغريزة ، ويلجأ الى الموسيقى لبث مقاومته وشكواه ؛ ولو نبذ النورى أساطيره وسحره ، ونسى لغته ، وترك قصصه وأناشيده ورقصه ، فانه يبقى مع ذلك نورياً بالموسيقى .

ولن تمضى أعوام أخرى حتى يغمر النور ذلك البحر الانسانى الذى يحيط بهم ؛ ولن تمضى أجيال قليلة حتى يغدو النور كالزراع ، وينسون كل خواصهم وتقاليدهم ؛ ولن يبقى من الفن النورى سوى قليل من الأغانى والقصص ، ذلك الفن الذى هو أعجب الفنون الشعبية وأكثرها طرافة ؛ وعندئذ لن نجد سوى بعض الفنانين الذين ينحدرون من أصل نورى ، يتجولون هنا وهنالك فى بعض المدن ؛ بقية شعب كبير كان يجوب السهول والغابات ، يزاول السحر والكهانة ، ويخاطب الأرواح ، ذليل عزيز مع ذلك لأنه حر . وتلك خسارة فادحة للنور وللوثنية والقصص والحرية ... بيد أنه يستحيل علينا أن ننقذ النور فى ذلك المجتمع الذى يناقضهم فى كل شىء .

# بين توفيق الحكيم

## وأهل الكهف

بقلم شهدى عطيه الشافعى

قرأت لتوفيق أهل الكهف فيمن قرأ . وأحببتها حباً يفوق حب الناس لها . ولكن ناحية منها لم ترضنى ، وليس ذلك بجريرة للمؤلف آخذها عليه . ولكنه شعور نفسى تملكنى

### منظر

فى إحدى جنان الخلد. ثلاثة رجال متكئون على الأرائك وأمامهم أباريق وأكواب من ذهب وفضة ، والأطيار من حولهم تشدو

مرنوش : (متأملاً حوله) — يالله ! ما أبدع هذا وما أجمله ! مشلينيا أيها الكسول . ألا تستيقظ لتستمتع بهذا الجمال .

مشلينيا : (يفرك عينيه) أهذا أنت يامرنوش ! أين نحن ؟ لسنا فى الكهف .

مرنوش : (فى حدة) الكهف ؟ تباً لك ! لاتذكرنى به ، لقد كان كابوساً مخيفاً .

مشلينيا : لعنة الله عليه ما أشأمه . . . وهذه الثلثمائة عام التى لبثناها فيه . ! وملك آخر مسيحى مكان دقيانوس الوثنى . . وبريسكا غير بريسكا . كيف كان كل هذا ؟

يمليخا : (مستيقظاً) حمداً لك يا خالق السموات والأرض . اللهم إنا نمجدك ونؤمن بعيسى نبيك

مرنوش : (مأخوذاً) يمليخا ؟ كيف أنت ؟

يمليخا : (فى خشوع) ألا تحسان فيضاً من النور الالهى يخترق شغاف القلب . كأنى على قيد ذراع من الله . يالروعة هذا !

مرنوش : (فى عجب) إنك لتبدو جميلاً يا يمليخا . أنّى لك هذا الثوب المزركش وذلك الوجه الصبوح ؟

مشلينيا : (فى دهش) ولكنك لم تر ثيابنا يامرنوش . إنها موشاة بالذهب . مَن أتانا بها (ناهضاً) . مرنوش ياللعجب !

لقد شف جسمى حتى لأرى ما بداخله ! مرنوش !
مرنوش . لقد خف ثقلى حتى لأحسبنى طيراً ذا جناحين !

مرنوش : مشلينيا ، ماهذا ؟ لقد صدقت . ألا تذكر استكراش بطنى وانتفاخ رجلىّ . لقد ذهب كل هذا ( يتحسس وجهه ) لله ما أنعم وجهى وما أرقه !

مشلينيا : وأنت ياعليخا ( لايجيب ولكنه يذهب بعيداً ) يمليخا ! أتاركنا ؟ إلى أين ؟

يمليخا : إلى حيث قطمير كلبى .

مرنوش : ( ضاحكا ) أليس لك فى هذا الجمال سلوة عن قطمير ؟

يمليخا : ( مبتسماً ) قطمير . عزيزى قطمير . حارس غنمى ورفيق طريق وصاحبى فى السراء والضراء ( متهللا فجأة ) يالله ! هاهو ذا مقبلاً . انه يهز ذيله فرحا

مشلينيا : ( عابثاً ) أهذا قطمير كلبك ؟ أين هذا ذو الشحم واللحم من قطمير الضاوى البطن البارز الأضلاع ؟

يمليخا : ( فى سرور ) إنه قطمير بعينه . إننى مستطيع أن أتبينه من كلاب الأرض جميعاً . تعالت قدرتك ياإلهى . لقد أنلتنى بغيتى وجمعتنى بكلبى !! سبحانك اللهم نسبح بحمدك !

مرنوش : ( مشيراً الى رجل مقبل من بعيد ) مشلينيا ! انظر ! ألا ترى رجلا ؟

مشلينيا : ( متجهاً بنظره ) وما يدريك لعله امرأة . ( بعد برهة ) إنه يضع قرصاً أحمر فوق رأسه ويشد عنقه بمنديل

يمليخا : انه ليسرع فى خطاه نحونا

مرنوش : لعل ذلك لحاجة له . إننى أرى تقاطيع وجهه جيداً . إنه رجل يامشلينيا . يا لغرابة لباسه . إنه يشد عنقه بحبل ملون لا بمنديل

توفيق الحكيم : ( بلباس افرنجى وفوق رأسه طربوش متبينا القوم ) ميشلينا ! مرنوش ! يمليخا ! . وقطمير أيضاً هنا ! يالحسن حظى . كيف أنتم ؟ لقد كنت أتوق لرؤيتكم .

( أهل الكهف يتلاومون ويتأملون توفيقاً فى خوف غير قليل )

يمليخا : ( متشجعاً ) ومن عساك تكون ؟ ومن أنبأك بأسمائنا ؟

توفيق : ألا تعرفوننى ؟ لكننى أعرفكم حق المعرفة ، وأحفظ وجوهكم كأنى عشت بينكم ألف عام . أنا توفيق الحكيم

مشلينيا : ماذا يقول ؟

يمليخا : ( هامساً ) انه يخبر عن صناعته . فهو حكيم

مرنوش : ( فى اضطراب ) ولكن ليس بنا من مرض ياسيدى

توفيق : لا . لا . إنه اسمى . توفيق الحكيم . لقد قرأت سيرتكم وتحدثت عنها فى قصة حوت فن باريس وفلسفة أثينا وحكمة الروم

يمليخا : ( فى همس ) إنه يذكر الروم

مرنوش : ( فى ذكاء ) آه . لقد فهمت ياسيدى . لعلك — رأيتنا إذ بعثنا من كهفنا بعد نومنا الطويل

توفيق : لا ، لا ، ليس هذا . انى قرأت عنكم وامتزجت روحى بروحكم ، ولكننى لم أركم قط رؤيا العين

مشلينيا : ولكن أنى لك بمعرفة وجوهنا ؟

توفيق : ( فى دلال ) إنه الفن ياسيدى . يسمو بالمرء حتى ليرى مايختلج به نفوس القوم ، وما تضطرب به أفئدة البشر ، إنه الفن الذى يصل الماضى بالحاضر . لقد ترجمت عما فى نفوسكم واستكشفت خباياها بعد موتكم بعشرات القرون . أفيعجزنى الآن أن أتعرف الى وجوهكم ؟

مرنوش : ( هامساً فى خوف ) لعل به مساً من الشيطان !

يمليخا : ( معترضاً كالهامس ) لعله قديس وهبه الله قبساً من نوره فقرأ مافى نفوس البشر .

مرنوش : ( فى همس ) لقد عرفنا وعرف أسماءنا ، برغم أنه لم يرنا قط

مشلينيا : بل ويزعم أنه استطلع ما فى نفوسنا .

توفيق : ( عابثاً ) نعم . ألست أنت مرنوش ( مشيراً اليه ) . ألم يكن لك زوج تحبها . وبنيت بها فى الخفاء فأنجبت لك غلاماً ، ثم نجوت بنفسك الى الكهف خوفاً من دقيانوس وشروره ! !

يمليخا : ( هامساً ) ألم أقل لكما إنه قديس ؟ ( فى صوت عال ) صدقت أيها القديس .

توفيق : (متمماً حديثه) ولولا زوجك هذه يامشلينيا لما كنت مسيحياً ، ولمت وثنيـــاً ، ونقمت على المسيح والمسيحيين . أنت ياساعد دقيانوس الأيمن فى مذابحه قبل زواجك . . فاذا ما افتقـدت زوجك وغلامك انقلبت ساخطاً على السماء والأرض « ومت مجرداً من كل شىء عارياً كما ظهرت ، فلا أفكار ولاعواطف ولا عقائد »

مرنوش : أتعنيني أنا ؟ (هامسا الى زميله) لقد حسبت به مساً من الشيطان ، ولـكني واثق الآن أنه الشيطان نفسه . ولعله كان يسكن هذا الـكهف المظلم المشئوم الذى لبثنا فيه حقبة من الدهر . ولابد أنه تحسس أخبارنا ونحن فى ظلمة لا نتبين من أمره شيئاً .

(ثم يتوجه بكلامه الى توفيق فى صوت عميق حار) لا يا سيدى لقد عشت مسيحياً ، ومت كما عشت ، ولقد أرتنى زوجى الطريق الى الله فأحببته بكل جارحة ، وما عبأت بدقيانوس ولا بمكانى عنده .

مشلينيا : (هامساً) لنمتحنه ! فلعل ما يدريه عنى خير مما عرفه عنك (فى صوت مرتفع) وماذا عندك لى يا . . يا . . معذرة ياسيدى الفاضل .

توفيق : (متردداً) مشلينيا الذى أحب بريسكا وأحبته ، بل عبدته ، حتى لقد اعتنقت المسيحية من أجله ، ورضيت بدين عشيقها عن دين آبائها بديلا .

مشلينيا : (محاولا كتمان غضبه) تالله لقد أخطأت . إنها أرادت لنفسها هذا الدين وآمنت به قبل أن تدرى عن مسيحيتى شيئاً . لقد كان دين الحب ، وكانت تعاليمه البساطة عينها والنبل نفسه ، فآمنت بريسكا الطاهرة الساذجة ، وكان ايمانها قوياً .

ألا تذكر يامرنوش كيف كانت تمزج قبلاتها لى بالصلاة لله شاكرة له أن هداها سواء السبيل ، وأن أرشدها الى نوره الحق ؟ أو تذكر عند هروبنا تحت جنح الليل ، وقد كشفوا أمرنا كيف كانت مطمئنة واثقة أن الله سينجى عباده المخلصين ؟ وكيف أخذت على نفسها عهداً أن تصلى وتصلى لعل الله ينجينا . ؟

يمليخا : (هامساً فى ذعر) إن هذا الرجل لايعجبنى ! ماذا يقفه يابابنا ؟ ما أقبح عينيه ! انه ليشع منها ذكاء خبيث !

مشلينيا : ألم تحسبه قديساً ؟

يمليخا : لقد نسيت أن الشياطين تتخذ أحياناً ثوب القديسين

توفيق : (محاولا التقرب بعد ما أحس منهم نفوراً) ويمليخا . . . . الراعى الذى آمن فى اخلاص ، وأحب الله فى قوة . ورضى قرير العين أن يترك غنمه ليرشدكم الى كهف تلجأون اليه . ؟

مرنوش : ولماذا جعلته من بيننا وجده المؤمن ؟

توفيق : (بين التردد والاحجام) لم يكن له أهل « وكان قلبه خليّا ، فلا يضيره أن يمنح قلبه لله »

مرنوش : (هامساً لزميليه) ألا تشمان فى عبارته رائحة الخبث والسخرية المخبوءة ؟

مشلينيا : (فى ضجر) لقدصدقناك ياسيدى . ولـكن مادفع بك الينا ؟

توفيق : لقـد اتصلت روحى — روح الفنان بروحكم ، ولم تستطع الأجيال أن تفصل بيننا ، فبعثت قصتكم بعثاً جديداً الى القرن العشرين .

مرنوش : (فى تهكم خفيف) أكنا فى حاجة الى هذا البعث . ؟

توفيق : (فى غيظ) أتنكرون فضلى ؟ . لقد أصبح القوم ولا حديث لهم إلا أهل الـكهف . ولقد أخرجتكم الى الناس فى ثوب من الفن أنيق ، أتقنت فيه الصياغة ، وأجدت فيـه الانسجام ، وسخرت له كل ما قرأت من فلسفة اليونان ، وفلسفة القرن العشرين ؟ ! !

مرنوش : ولـكنك مسختنا وأنـكرت علينا إيماننا ومسيحيتنا التى كانت كل شىء لنا .

مشلينيا : ولقد أهنت بريسكا الطاهرة الجميلة .

يمليخا : (فى سأم وضيق) سيدى القديس ! لعـل فى جوارنا أهل كهف آخرين . فلتبحث عنهم . أما نحن فلسنا من ذكرت . . !!

شهدى عطيه الشافعى
بكالوريوس آداب